شعرية الكتابة النسوية في ديوان رسائل تتحدى النار والحصار لزكية علال.

Feminist writing poetry in the Office of Letters challenging the fire and siege of Zakia Allal.

الدكتور: ناصر بعداش.

المركز الجامعي ميلة.الجزائر.

lettrearab@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/10/10 **تاريخ القبول:** 2020/03/23

ملخص:

نحاول في هذا الطرح تتبع حركة الكتابة النسوية التي ظهرت على الساحة الأدبية حديثا، وتبيان شعرية هذا النوع من الكتابة، لأن شعرية الكتابة لم تكن محصورة في الكتابات الذكورية فقط، بل تتعداه إلى كتابات نسوية تنطق شعرية وتفيض جمالا، وقد اخترنا في التطبيق ديوان الكاتبة الجزائرية زكية علال، بعنوان "رسائل تتحدى النار..والحصار"، ومن هنا نحاول التأصيل لنوع من الكتابة تختلف اختلافا كبيرا عن كتابة الرجال، فإذا كان الرجل يكتب عن مواطن القوة والشجاعة والإباء، وعن المواقف الصعبة التي تعتبر محك الرجال، فان المرأة ربما لا تكتب عن المواقف البطولية لأنها لم تعشها، فنجدها تكتب عن أنوثتها وعاطفتها، وعن تحدياتها في هذا الزمن الذي عرفت فيه الحرية، من هذا المنطلق تجدنا تتبع الجوانب الجمالية في هذا الديوان بما فيه من محمولات، لعلنا نتوصل إلى أهم الفروقات بين الكتابتين، منتهين إلى الوقوف أمام شعرية هذه الكتابة، ومنه:

- هل وفقت المرأة في الكتابة الخاصة بعالمها؟
- وهل هناك كتابات نسوية ترتقي إلى أن تكون تراثا ينضوي تحت ملمح نقدي يحمل بين طياته جوانب الشعرية ؟
- و هل هناك جماليات في الكتابة النسوية تجعلها متميزة عن غيرها ؟

- وإلى أي مدى استطاعت المرأة في كتاباتها تلمس اللغة الشعرية ؟ كما تلمسها الرجل من قبل ؟

الكلمات المفتاحية: الشعرية، الكتابة النسوية، الكتابة الذكورية، آفاق، الجمالية.

Abstract:

We are trying to follow in this thesis follow the movement of feminist writing that appeared on the literary scene recently, and show the poetry of this type of writing, because the poetry of writing was not confined to male writings, but beyond to feminist writings to pronounce poetry and overflowing beautiful, we have chosen in the application of the Algerian writer's office Zakia Allal, entitled " Letters that challenge fire .. and siege," and here we try to rooting for a type of writing is very different from the writing of men, if the man writes about the strengths, courage and parents, And about the difficult attitudes that are the test of men, the woman may not write about the heroic attitudes because she did not live, we find her writes about femininity and emotion, and about the challenges in this time when I knew freedom, from this stand we find the aesthetic aspects in this Court, including the loads , Perhaps we reach the most important differences between the two books, ending to stand in front of the poetry of this writing, including:

- Have women succeeded in writing their own world?

- Are there feminist writings live up to be a heritage under a critical feature carries between the aspects of poetry?

- Are there aesthetics in feminist writing make it distinct from others?

- To what extent were women able to touch the poetic language? As the man touched before?

key words: **:** poetry; feminist writing; masculine writing; horizons; aesthetic.

مقدمة:

الظاهر أن فن الكتابة –ومنذ الأزل- كان مقرونا بالعنصر الذكوري، والمتأمل في حال الأدب بشقيه الشعر والنثر يلمح ذلك، وفن الشعر مثلا أبدع فيه الرجال دون النساء، ولعل شعر الصعاليك والمعلقات السبع أو العشر شاهدة على ذلك، وما كتبته النساء كان قليلا جدا إذا ما قورن بالكتابة الذكورية، وما قيل عن الشعر يمكن قوله على فن النثر، غير أننا في الوقت الراهن نجد المرأة قد خرجت عن النظام القديم الذي سيطر فيه الرجل سيطرة مطلقة وفي جميع الميادين، ونافست الرجل في كتاباته بلغة شعرية خاصة بها؛ متخطية بذلك عقدة الخوف التي سيطرت عليها منذ عصور، ونحن في هذه الورقة نحاول إبراز الجوانب الجمالية في الكتابات النسوية؛ وتتبعها عبر السطور والوصول إلى أهم الفروقات بين الكتابتين؛ وكذا الرهانات والآفاق الخاصة بهذا النوع من الكتابة.

1- الكتابة:

إن الكتابة خاصية بشرية لا يشاركه فيها كائن حي آخر، وبالفعل فالعقل البشري يستطيع الإنسان التفكير والتدبر وإخراج كل ذلك إلى عالم الموجودات عن طريق الكتابة، ولكنه وحده القادر على ترجمة انفعالاته وإحساساته وإخراجها إلى الوجود، وتختلف طريقة الإخراج من شخص إلى آخر، غير أن الكتابة واحدة من الأوجه الصادقة التي تترجم صراحة أفكار هذا الكائن الغريب العجيب في آن واحد، وبالتالي فالكتابة: "عمل تحريضي، يحرض الذات ضد الآخر، وهي في الوقت ذاته تحريض ضد الذات"[1]، وهي مظهر من المظاهر الجمالية التي يعبر بها الإنسان عن الخلجات التي تتعرض لها الذات البشرية في مسارات الحياة لمتشابكة، وهي إذ تعمل على الغوص في عمق الذاكرة وتفريغ هواجسها ونزوعاتها المرتبطة بالقمع من جهة، والحب والفرح من جهات أخرى، فإنها تعبر تعبيرا صادقا عن الحالة الانفعالية التي يعيشها الإنسان في لحظة من اللحظات بخط منسجم ومعبر يتشكل في سطور، وبالتالي فالكتابة : "كإبداع هي ادعاء كوني يفوق الذات الفاعلة ويتمدد من فوقها متجاوزا إياها وكاسرا ظروفها وحدودها".[2]

لقد خلق الله الكائن البشري على صنفين، صنف ذكر قوي ثابت تولى زمام الأمور الخارجية، وصنف أنثى ضعيف رقيق المشاعر تولى زمام الأمور الداخلية، وقد كان للذكر قصب السبق منذ القديم في مجال الكتابة والإفصاح، ولعل الأدب القديم شعره ونثره شاهد على ذلك، وما كان من كتابة نسوية يعد النزر القليل مقارنة بالآخر، ولعل ما كتب كان غير جريء كما كتابة اليوم التي تخطت كل القوانين وجميع الأعراف، وهاهي المرأة تكتب عن جسدها مثلا؛ واصفة إياه وصفا دقيقا يثير مشاعر الآخر ويهز كيانه، ومن باب الإنصاف فإن الكتابة ليست

حكرا على الرجال فقط، ولكنها وسيلة تعبير فعالة بيد المرأة تمتطيها لِتُعَبِّرَ بها عما يجول بخاطرها، ومن هذا المنطلق فالكتابة النسوية في الجزائر كمفهوم نقدي وجمالي جديدة على الساحة الأدبية، إذ ظهرت متأخرة جراء الأوضاع التاريخية والسياسية والاجتماعية المتردية التي مرت بها الجزائر خلال الحقب الماضية، وبالتالي لم تكن هذه الظروف سانحة لخلق فضاء يُمَكِّنُ المرأة الكاتبة من ولوج عالم الإبداع واستنطاق مكنونات الذاكرة وأوجاعها، لأن الذات: "وهي تكتب إنما تفعل ذلك لكي تدل على كل ما هو مفقود منها ..."[3]، فكل الأحزان والانكسارات الفكرية والنفسية التي تعرضت لها المرأة ظلت لعقود من الزمن طي الكتمان، إذ لا سبيل للإفصاح عنها في قالب منسجم ومنظم يعبر تعبيرا صادقا عنها.

إن العقبات التي وقفت حاجزا أمام المرأة حالت دون انخراطها الجاد في عالم الكتابة والإبداع، وأن ولوجها هذا العالم إنما كان نتيجة لتخطي كل الحواجز، وإزالة العقبات التي شلت نشاطها منذ عقود من الزمن، غير أن المرأة لم تستسلم في طريقها نحن الكتابة المعبرة عنها ككائن له تفكير مستقل؛ وإنسانا يستطيع العيش مستقلا عن الجانب الذكوري، وهي اليوم تتحدى هذا الكائن الذي فرض نفسه لأجيال عديدة؛ كانت فيها المرأة مستسلمة راضية في كل الأحوال ومختلف الأزمنة، غير أنها اليوم أمام تيار الحداثة الجارف نجدها تتخطى كل القيود وتعانق الزمن بما فيه من روح المثابرة والتميز، فظهرت كتابات نسوية تشارك الرجل في إبداعاته، بل وترتقي إلى أن تكون تراثا يفتح باب النقد على مصرعيه لدراسة هذا النوع من الأدب.

2- الكتابة النسوية:

يعتبر هذا المصطلح مصطلحا دخيلا على الأدب العربي الحديث، وقد شاع الحديث عن الكتابة النسوية منذ منتصف القرن العشرين، وأصبح الحديث بشكل جلي عن نظرية جديدة أخذت على عاتقها صفة المغايرة والاختلاف في فضاء الكتابة، ذلك لأنها تمرد عن الكتابة الذكورية، وما كان حين ذاك إلا خلع ثوب بعض القيم والعادات التي حدت من حريتها لعقود من الزمن، وبما أن وهي مظهر من المظاهر الجمالية التي يعبر بها الإنسان عن الخلجات التي تتعرض لها الذات البشرية في مسارات الحياة المتشابكة، وهي إذ تعمل على الغوص في عمق الذاكرة و تفريغ هواجسها ونزوعاتها المرتبطة بالاضطهاد من جهة، والحب والفرح من جهات أخرى، ولا يتم ذلك إلا بحرص الأنا الخلاقة والمبدعة على تفعيل اللحظة التاريخية وجعلها

تتطور في صراع مع عقبات تعترض كيان المبدع للتغلب على كل الصعوبات والضغطات النفسية، والقهر الاجتماعي الذي يحتم على الكاتب وضع تصور منسجم يتشكل في سطور،

إن الكتابة ليست حكرا على الرجال فقط، ولكنها وسيلة تعبير فعالة بيد المرأة تمتطيها لتعبر عما يجول بخاطرها، وقد اقترنت الكتابة منذ القديم بالفحولة الذكورية بينما اكتفت الأنثى بموضوع الحكي، وبالتالي فإنّ المرأة الكاتبة استطاعت بوعيها الجديد الذي وُلد جرّاء التنازلات الاجتماعيّة التي لحقت بالرجل، مما فتح المجال أمامها لتتخطّى الحدود وتلاحق الرّجل في إبداعه، فاقتربت منه سعيا لخلق بعض النصوص الإبداعية محاكاة له في نقل واقعها الجديد من جهة، والكشف عن عالمها الإبداعي الخاص بها من جهة ثانية، من هذا المنطلق اكتسبت الكتابة النسائيّة وجودها المستقل كون الإبداع سبيل عتيق أمام الجميع لإبراز الذات والتّنفيس عن الانشغالات والتحديات.

ومن هنا فالكتابة النسوية في الجزائر كمفهوم نقدي جديدة ظهرت متأخرة؛ والسبب الأوضاع التاريخية والاجتماعية التي مرت بها الجزائر خلال الحقب الماضية، إذ لم تكن سانحة لخلق ظروف مواتية تُمَكِنُ المرأة الكاتبة من ولوج عالم الإبداع واستنطاق مكنونات الذاكرة، والأشياء المفقودة لديها لأن الذات: "وهي تكتب إنما تفعل ذلك لكي تدل على كل ما هو مفقود منها ..."[4]، ومحاولة بث انكساراتها الفكرية والنفسية التي ظلت لعقود عاملا من العوامل التي منعت المرأة من تخطي النظرة السوداوية على أنها جناح مكسور لا يمكن له المشاركة في الخصوصية والتميز.

إن العقبات التي وقفت حاجزا أمام المرأة حالت دون انخراطها الجاد في عالم الكتابة والإبداع، وإن ولوجها هذا العالم إنما كان نتيجة لتخطي كل الحواجز، وإزالة العقبات التي شلت نشاطها منذ عقود من الزمن، وبالتالي فالنظرة القاتمة التي ترى أن المرأة ضعيفة وهي بحاجة إلى ركيزة تدعمها وتكملها؛ يجب تغييرها وإعادة النظر فيها، ودفع المرأة إلى الأمام ومساعدتها على حسم أمرها حتى تفرض ذاتها كعنصر فعال بعيدا عن الرجل، و" كأنما الذات – هنا- تنفي نفسها من خلال الكتابة مثلما إنها تنفي الآخر بتجاوزها له"[5]، وبذلك تتمكن من ولوج عالم الكتابة الذي هو تعبير عن ذاتها وخلجاتها، ولا يمكن لهذا أن يتحقق إلا بوعي وجرأة تساعد المرأة على تخطي كل العقبات، والاندفاع نحو الأمام دون خوف ولا تردد، لأن "الإبداع من دون توفر مفاهيم الحرية والجمال ضرب من العبث يؤدي في الأخير إلى نشر الرداءة والضعف، وبث التخلف والدونية التي لا تتماشى أبدا مع مفهوم الكتابة و الإبداع"[6]، وبالتالي

فالمرأة اليوم؛ وفي زمن التمدن والحضارة أصبحت قادرة على التعبير عن ذاتها بكل الطرق التي تراها انسب في ذلك، ولم يتأت لها ذلك إلا بعد المرور بمرحلة استخدمت فيها أرضية كتابة الرجل وتفكيره، فكانت تكتب لإمتاعه في حدود، وبكل حذر، ولم تتجرأ يوما على إقحام نفسها في عوالم الغزل مثلا، أو التعبير بحرية عن رغباتها التي كان الرجل قد سبقها في ذلك بوقت طويل .

3- جمالية الكتابة النسوية:

نحاول من خلال هذا الطرح إدراج هذا العمل ضمن التجربة النقدية الجديدة التي تنتمي إلى جنس الأدب الجديد؛ الذي يتناول جماليات الكتابة النسوية، وانطلاقا مما تقدم يُمكن القول إن الكتابة النسوية في الجزائر لم تتمكن من تأسيس مفهوم نقدي جمالي مكتمل المعالم، يُمكن من خلاله القيام بدراسة حقيقية تحمل في طياتها دلالات المفاهيم النقدية والجمالية، التي تجعل منها جنسا أدبيا قائما بذاته، وبالتالي فالإبداعات الأدبية النسوية في الجزائر؛ وإن كانت قليلة؛ لا يمكنها أن تشكل دعامة قوية لإقامة تأصيل لهذا الفن الذي لا يمكن له أن يتحقق إلا بفعل المثابرة الدائمة، لأن المرأة الكاتبة في الجزائر لا تزال في سياق التجريب والبحث للخروج من الدائرة الضيقة المضروبة حولها بإحكام كما تدعي هي في كل المحافل، مما يجعل اقتحامها محددات الكتابة بتجلياتها الصارمة أمرا يتطلب الصبر والمجاهدة، وتخطي كل المخلفات الموروثة، والتأسيس القائم على نظرة شمولية تعطي الكتابة جمالياتها وكيانها الثابت، وهي بحاجة إلى مزيد من المعاناة للوصول إلى مرحلة الحسم التي تمكنها من الوقوف والثبات في ظل المتغيرات الطارئة .

وفي هذه الرحلة الشاقة لاستقلال الذات نجد المرأة محاطة بنظرة سوداوية ترى منها مخلوقا ضعيفا، كما ترى أن المرأة وحيدة وهي بحاجة إلى ركيزة تدعمها وتكملها، ولكن الأنثى اليوم ونظرا للتطورات السريعة الحاصلة في المجتمع وفي دول الجوار، والتي سمحت للمرأة بالتخلي عن المخلوق الذكوري المسيطر منذ القديم، وهاهي تعيد النظر في واقعها الذي زعمت أنه اليم؛ ودفعت بنفسها إلى الأمام لحسم أمرها، حتى تفرض ذاتها كعنصر فعال بعيدا عن الرجل، و" كأنما الذات – هنا- تنفي نفسها من خلال الكتابة مثلما إنها تنفي الآخر بتجاوزها له "[7]، وبذلك تتمكن من ولوج عالم الكتابة، الذي هو تعبير عن ذاتها وخلجاتها، ولا يمكن لهذا أن يتحقق إلا بوعي وجرأة تساعد المرأة على تخطي كل العقبات، والاندفاع نحو الأمام دون خوف ولا تردد، لأن "الإبداع من دون توفر مفاهيم الحرية والجمال ضرب من العبث يؤدي في الأخير

إلى نشر الرداءة والضعف، وبث التخلف والدونية التي لا تتماشى أبدا مع مفهوم الكتابة والإبداع"[8].

إن هذا الطرح لا يعني انعدام كتابات نسوية جزائرية معاصرة، بل هو تحفيز للمرأة على الاندفاع نحو عالم الإبداع الجميل، والتعبير عن كيانها بكل حماسة وحرية حتى تحقق ذاتها ككائن بشري يتميز بخصوصياته التي تميزه عن الآخر، وتمكنه من المشاركة في صنع الحدث وتخطي ظلمة التاريخ وزواياه المظلمة، وبالتالي فإن الصوت الشعري النسوي في الجزائر بدأ في التشكل؛ ثم البروز من خلال أسماء جعلت نفسها عنوانا لشعرية نسوية قائمة على قدم وساق، حيث أخذت على عاتقها صياغة هذه الشعرية ذات الخاصية الجمالية التي تضم في طياتها مجموعة من الأخيلة واللذات والمتع التي تفيض أنوثة مرهفة، تعبر من خلالها عن أوجاعها، وتصف أحوالها في قالب الكتابة النسوية ذات المضامين التي تثير قناعات تعتمد فيها على ذاتها المبدعة .

إنه لما كان الشعر فنا يترجم درجة النبوغ والإبداع في عالم الحداثة، الذي طبعه بطابع الجدة والتميز في الألفاظ والمعاني، على حد تعبر إبراهيم السامرائي في سياق حديثه عن الحداثة والشعر الحر إذ يقول : "ونأتي إلى الشعر فنراه جديدا في كثير من دلالات ألفاظه، مشيرا إلى معان جديدة ..."[9]، فإن المرأة الجزائرية واكبت هذا العصر في جدته، وأولت الشعر بطابعه الجديد عناية كبيرة وأعطته النصيب الكافي في كتاباتها وإبداعاتها، لذا كان لزاما اختيار نماذج من هذا الشعر على سبيل الإضاءة والتحليل، وكشف بعض الجماليات التي تميزت بها المرأة الجزائرية، فكان اختيارنا لشاعرة جزائرية هي "زكية علال" في ديوانها"**رسائل.. تتحدى النار.. والحصار**" :

4- الشعرية ودلالاتها :

تعتبر هذا المصطلح وليد الدراسات الحداثية النقدية، وهو جديد على الساحة الأدبية التي عرفت إبداعات نثرية وشعرية بقالب التمرد، وقد انتقل هذا المصطلح إلى العالم العربي وأصبح "عنوانا لدراسات نقدية معاصرة مهمة، والمهم في هذا الأمر أن مصطلح الشعرية لم يعد مقتصرا في دلالته على الشعر وحده ، بل إن المصطلح نفسه أخذ يتغلغل في جميع الأجناس الأدبية، ويفرض نفسه دونما تمييز"[10]، وبالتالي فهي تمثل أساسا من الأسس التي هي الدعامة القوية التي تقوم عليها الأعمال الأدبية "فلم يعد الشعر مضادا للنثر، ولم تعد هناك حدود أو فواصل بينهما، كما أن الشعر لم يعد يحتفظ بفروق تجعله غريبا عن النثر، لأن

الفرق بين هذين الجنسين لم يعد في النوع ، بل هو الآن تمايز في الدرجة "[11]، وبالتالي فإن أهمية هذا المصطلح جعل منه محط اهتمام واسع النطاق من باحثين ونقاد اخذوا على عاتقهم سبر أغواره، والخروج بمقاربات من شأنها تقريب المفهوم، وإزالة اللبس الذي يكتسيه، فالناقد تدوروف يرى أن الشعرية: "ليست مجرد وصف عام عابر لهيكلة النص، وإنما هي أسلوب خاص في بناء اللغة وتشكيلها، وهي لا تسعى إلى تسمية المعنى، بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل "[12]، وتتجلى الشعرية: "في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة وليست مجرد بديل عن الشيء المسمى، ولا كانبثاق للانفعال، وتتجلى في كون الكلمات وتركيبها و دلالتها و كلها الخارجي والداخلي ليت مجرد أمارات مختلفة عن الواقع، بل لها وزنها وقيمتها الخاصة "[13]، أما كمال أبو ديب فيرى أن الشعرية مؤسسة على مبدأ الفجوة "مسافة التوتر"، فهي "خصيصة علائقية، أي إنها تجسد في النص لشبكة من العلاقات، وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها "[14]، وحتى يكون للنص الأدبي صدى عند الآخرين (المتلقين)؛ فلا بد أن يتوفر على القيم الجمالية الشعرية المتناثرة داخله، لأن الشعرية من هذا المنطلق "تطلق على العمل الأدبي الغزير الخيال، المتفجر التعبير، والشعرية صفة تستعمل في الشعر والنثر على السواء، والشعرية تستمد تعبيرها من النظام الشعري، وتستعير عناصره أيضا قدر الإمكان، وبنسب متفاوتة عند كل نوع أدبي، والشعرية قريبة من الغنائية، حيث تلعب الوجدانية بدرجة عالية في التعبير إلى جانب الخيال"[15].

إن الشعرية إن صح التعبير النظرية الداخلية للأدب، فبها نستطيع التفريق بين الأنواع الأدبية، وحتى العمل الأدبي الواحد، "والحقيقة أن الشعرية لا تقف عند حدود الآثار الأدبية المفردة، ولا تقف أيضا عند حدود خصائص السرد أو الحوار أو الوصف في نص معين، إنما تهدف إلى استخراج نظرية لكل الخصائص ومكونات الأدب بشكل عام، تبين نقاط الاتفاق و التلاقي و حدود الاختلاف و المفارقة "[16]، وبالتالي فجل اهتماماتها تحديد الآليات الإجرائية لدراسة الآثار الأدبية، لذلك نجد الخطاب من بين أهم اهتماماتها، لأنه هو منطلق إنتاج النص، إنها تميز مستويات المعنى، وتعمل على ضبط الوحدات التي يقوم عليها .

5- الجمالية:

إن تحقيق المتعة الجمالية في النصوص الأدبية الإبداعية من خصوصيات النقد الجمالي، فالاتجاه الجمالي يعنى بالبناء الفني في العمل الأدبي اعتمادا على فكرة مفادها أن العمل الأدبي مجموعة من العناصر المتباينة مجتمعة، وبالتالي فإن العديد من التساؤلات تطرح نفسها منها ما هي الأسرار التي انطوت داخل النص الأدبي دون غيرها؟ وما الذي يجعل القارئ ينجذب

نحو نص إبداعي دون نص آخر، وما الشيء الذي يدفعني إلى استحسان هذا ، و تفضيله على غيره ؟، ولكن الإجابات تأتي دائما متباينة تتفق في مجملها على أن الجماليات المنتشرة في ثنايا النصوص الإبداعية، سواء تعلق الأمر بالجماليات الظاهرة للعيان أو ما كان خفيا منها له كبير الأثر في تحديد الارتباط والتشبث بالنصوص وقوة الانجذاب إليها، ومنه فالقارئ في تعامله مع النص الإبداعي نجده بحاجة ماسة إلى شيء من الجمال الذي يغذي العمل ويكسبه رونقا يجذب القارئ، وهنا تحدث المتعة ويتم الحصول على اللذة المرجوة من التعامل مع النص، وما على القارئ إلا التطلع إلى اكتشاف الملامح الجمالية التي تختفي خلف وشاح الفن، وهذه الحاجة الماسة لتلمس الجمال لا تقتصر ممارستها على النصوص الأدبية فقط، بل نجدها تنتشر لتمس الميدان الخاص والمحدود للفنون الجميلة الأكثر سموا، وإنما "نتلقاها أيضا كقوة محركة، وموجهة، ومتممة ومشرفة ومستشرفة معا في مختلف ميادين النشاط الإنساني، كما نلقاها في الإطار العلمي البحت، بمقدار ما نجدها في الإطار الروحاني والمعنوي الأسمى"[17].

يشكل النص الأدبي لحمة واحدة متكاملة الجوانب والأطراف حيث ترتبط كل العناصر المكونة له بعضها ببعض مكونة بنية قوية ومتماسكة، يبنيها المبدع عن قصد أو عن غير قصد، لتتشكل بذلك الأدبية والجمالية، التي يريدها القارئ و ينجذب إليها، لأن الجمالَ يتشكلُ عن طريق اجتماع وتضافر عناصر متعددة في النص، يتم بناؤها بطريقة فنية خالصة، ويرتبط إدراكه بجملة من الظروف و المؤثرات الداخلية والخارجية، كما تشترك في إدراكه وتذوقه حواس مختلفة تتفاعل جميعا لتخرج بالتصور الجمالية، والمتعة الفنية المنشودة، وبالتالي فالجمالية "هي البحث العقلي في قضايا الفن على اختلافها من حيث أن الفن صناعة، خلق جمالي، لها أصولها المتنوعة ولها حرفيا التقنية الخاصة... غير أن البحث العقلي في قضايا الفن و الأدب لابد حتى يرقى إلى مستوى الجمالية ويصبح في نطاق علم الجمال، من أن يكون النظر فيه مستندا على نظرة فلسفية عامة، للحركة ؛ والكون، ويندرج النظر الجمالي في سياقها، كما تندرج في هذا السياق أيضا سائر مواقف الباحث من ظاهرات الحياة وقضايا الإنسان ونشاطاته "[18]، فالجمالية علم يعنى بالبحث في مسائل الجمال وما ينجم عنه،كما تعنى بدراسة مسائل جمالية عدة كالعلاقات التكوينية داخل الفن الواحد، ومن ثم فالجمالية تمثل رؤيا خاصة للفن ، وطريقة واضحة لملاحقة وتلمس الجميل في النص، والهدف من كل هذا تذوق فني رائع ، يكشف خبايا النصوص الإبداعية، وأثرها على القارئ الباحث، أو الفرد المتذوق، وتجعل محبة الجميل هي الهدف الأسمى من كل ذلك، ومنه فموضوع الجمال مستقر وثابت على مر العصور والأزمنة، وإن اختلفت الرؤية إليه، وإن أختلف في تفسيره وإبراز تجلياته والتأسيس له، فقد ارتبط بالخير

وبالحق وبالمنفعة في العديدة من المرات؛ كما اختلفت المقاييس التي نقيسه بها عبر العصور فهو: التام والواضح والكامل والمتناسب والمنسجم، والسامي والمتناسق، والأخلاقي، والحقيقي، غير أن الهدف الذي يجمع القائمين على تذوق؛ الجمال هو الارتفاع بالذات و الوصول بها إلى درجة الانتشاء، ومن يمارس النشاط الجمالي فغايته التحرر من كل شيء لأن "كل نشاط جمالي هو طريق إلى الحرية فيه تكشف الروح بوسائل الحس عن حقيقتها"[19]، ومن ثم فالجمال بصفة خاصة والفن بصفة عامة، أحد الوسائل البشرية التي يتم الإفصاح بها عن حالة الوعي الإنساني، لذلك نجد البحث الجمالي بقي على مر العصور يبحث في مبادئ النقد الفني ومحاولة تذوق الجمال والإحساس به، لأن "الجمال، وإن كانت القيمة العليا التي يسعى إلى تحقيقها فيما يبدعه ويتذوقه من آثار فنية أدبية، فإنه على صلة بالخير. الذي هو القيمة العليا التي توجه أحكامه بالخير والشر، على السلوك وعلى الحق الذي هو غاية المعرفة، ولما كان لكل قيمة من هذه القيم الثلاث التي تختلف باختلاف الزمان والمكان، وباختلاف حاجات الإنسان ورغباته، فقد تعددت فلسفات الجمال واختلفت مذاهبه"[20].

إن الجمال عنصر من عناصر الحياة، لذلك نجده يشغل الحيز الأكبر من الاهتمامات الإنسانية، لأن العلاقات التي تربط الكائنات البشرية لها من الصلة ما يمكن الجمال من أن يعتلي الدرجات العليا من كل ذلك، فالمحبة وأواصر الصداقة وتواصل الإنسان كلها مرتبطة بالجمال، لذا فقد: "حظي بمساحة كبيرة من الاهتمام الإنساني، وانتظمت علاقات ووشائج من الحب والرضا والألفة بين هذا المفهوم بكل مظاهره ونفس الإنسان منذ بداية الوجود البشري وما يزال، وأثمر هذا الاهتمام وهذه العلاقات نظرات فلسفية وآراء ناضجة عبر أزمنة متعاقبة"[21].

إن الجمال الأدبي يتجلى في كامل النص مجتمعا، لا في الجزئيات الصغيرة التي يتكون منها، أو من أحد العناصر العديدة المكونة للبناته، إننا نعتبره حوصلة التجربة والأسلوب والفكرة والعبارة والصورة والتركيب، أيفي جميع العناصر البنائية التي يستقيها الكاتب ويوصلها إلى المتلقي. وهنا يتم الحكم، إما لصالح النص، أو عليه .

الكتابة و مظاهر الشعرية :

تعد الكتابة مجالا رحبا تجول فيه الشعرية، فكل كتابة أدبية سواء كانت نثرية أم شعرية، يطالها هذا المصطلح، والكتابة بذلك "عمل تحريضي، يحرض الذات ضد الآخر، وهي في الوقت ذاته تحريضا ضد الذات"[22]، وهي مظهر من المظاهر الجمالية التي يعبر بها الإنسان

عن الخلجات التي تتعرض لها الذات البشرية في مسارات الحياة المتشابكة، وهي إذ تعمل على الغوص في عمق الذاكرة وتفريغ هواجسها ونزوعاتها المرتبطة بالقمع والاضطهاد من جهة، والحب والفرح من جهات أخرى، ولا يتم ذلك إلا بحرص الأنا الخلاقة والمبدعة على تفعيل اللحظة التاريخية وجعلها تتطور في صراع مع عقبات تعترض كيان المبدع، وما ذلك إلا لأجل التغلب على كل الصعوبات والضغوطات النفسية من جهة، والقهر الاجتماعي الذي يحتم على الكاتب وضع تصور منسجم يتشكل في سطور من جهة ثانية، والكتابة: "كإبداع هي ادعاء كوني يفوق الذات الفاعلة ويتمدد من فوقها متجاوزا إياها وكاسرا ظروفها وحدودها".[23]

من هذا المنطلق فالكتابة النسوية في الجزائر كمفهوم نقدي وجمالي جديدة على الساحة الأدبية، إذ ظهرت متأخرة جراء الأوضاع التاريخية والسياسية والاجتماعية المتردية التي مرت بها الجزائر خلال الحقب الماضية، حيث لم تكن سانحة لخلق ظروف مواتية تُمَكِّنُ المرأة الكاتبة من ولوج عالم الإبداع، واستنطاق مكنونات الذاكرة وأوجاعها، والبحث عن الأشياء المفقودة المتوارية لأن الذات "وهي تكتب إنما تفعل ذلك لكي تدل على كل ما هو مفقود منها ..."[24]، وكل ما اختفى من أحزانها وانكساراتها الفكرية والنفسية، التي ظلت لعقود عاملا من العوامل التي منعت المرأة من تخطي النظرة السوداوية، التي تحمل فكرة مفادها أنها جناح مكسور لا يمكن له المشاركة في عوامل الإبداع والخصوصية والتميز.

إن العقبات الكثيرة والممتدة عبر الزمن، وقفت حاجزا أمام المرأة ، نجدها حالت دون انخراطها الجاد والفعال في عالم الكتابة والإبداع الأدبي والفني، وبالتالي فإن ولوجها هذا العالم، إنما كان نتيجة لتخطي كل الحواجز المفروضة، وإزالة العقبات التي شلت نشاطها منذ عقود من الزمن، ووقفت سدا منيعا دون وصولها إلى مجالات التفوق والانتصار، والارتقاء إلى مراتب وصل العنصر الذكوري إليها منذ عقود .

غير أن المرأة في هذا العصر لم ترضخ ولم تستسلم لكل العقبات التي اعترضتها، في مسيرة بحثها عن الهوية، واكتشاف الذات، بل على العكس نجدها عانقت حبال الزمن، وقفزت فوق حواجز الانغلاقية، فظهرت بذلك كتابات نسوية تشارك الرجل في إبداعاته، بل و ترتقي إلى أن تكون تراثا يفتح باب النقد على مصرعيه، ومنه:

هل هناك كتابات نسوية ترتقي إلى أن تكون تراثا ينضوي تحت ملمح نقدي يحمل بين طياته جوانب الشعرية ؟

وهل هناك جماليات في الكتابة النسوية تجعلها متميزة عن غيرها ؟

وهل استطاعت زكية علال في كتاباتها تلمس اللغة الشعرية ؟ كما تلمسها الرجل من قبل ؟

إننا من خلال هذه الدراسة نَعُد هذا العمل تجربة نقدية جديدة، ومحاولة لبناء نزعة على الأقل، ومن حقنا، انطلاقا من هذا المنظور أن نطلق على هذه الدراسة عنوانا يُمكنه أن ينتمي إلى جنس الأدب الجديد، الذي يتناول شعرية الكتابة النسوية وجمالياتها، وآفاق التحدي المرجوة .

انطلاقا مما تقدم يُمكن القول إن الكتابة النسوية في الجزائر لم تتمكن من تأسيس مفهوم نقدي جمالي مكتمل المعالم، يُمكن من خلاله القيام بدراسة حقيقية تحمل في طياتها دلالات المفاهيم النقدية والجمالية، التي تجعل منها جنسا أدبيا قائما بذاته، وبالتالي فإن الإبداعات الأدبية النسوية في الجزائر، وإن كانت قليلة لا يمكنها أن تشكل دعامة قوية لإقامة تأصيل لهذا الفن، الذي يمكن له أن يتحقق بفعل المثابرة الدائمة ، لأن المرأة الكاتبة في الجزائر لا تزال في سياق التجريب والبحث، للخروج من الدائرة الضيقة المضروبة حولها منذ عصور سالفة، هذا ما جعل ولوجها واقتحامها محددات الكتابة بتجلياتها الصارمة أمرا يتطلب الصبر والمجاهدة، وتخطي كل المخلفات الموروثة، ومن ثم التأسيس القائم على نظرة شمولية تعطي الكتابة جمالياتها وكيانها الثابت، وهي بحاجة إلى مزيد من المعاناة والتحدي للوصول إلى مرحلة الحسم التي تمكنها من الوقوف والثبات في ظل المتغيرات الطارئة، والخروج بكتابات تفيض شعرية، وتنطق جمالا .

إن النظرة القاتمة التي ترى أن المرأة كيان ضعيف، وهو بحاجة إلى ركيزة تدعمها و تكملها يجب تغييرها وإعادة النظر فيها، ودفع المرأة إلى الأمام ومساعدتها على حسم أمرها، حتى تفرض ذاتها كعنصر فعال بعيدا عن الاتكال الكبير على الرجل، وكأنما الذات - هنا- "تنفي نفسها من خلال الكتابة مثلما إنها تنفي الآخر بتجاوزها له"[25] . وبذلك تتمكن من ولوج عالم الكتابة، الذي هو تعبير عن ذاتها وخلجاتها، ولا يمكن لكل هذا أن يتحقق إلا بوعي وجرأة تساعد المرأة على تخطي كل العقبات، والاندفاع نحو الأمام دون خوف ولا تردد، لأن "الإبداع من دون توفر مفاهيم الحرية والجمال ضرب من العبث يؤدي في الأخير إلى نشر الرداءة، وبث والدونية التي لا تتماشى أبدا مع مفهوم الكتابة و الإبداع "[26].

إن الصوت الشعري النسوي في الجزائر بدأ في التشكل ثم البروز من خلال أسماء جعلت نفسها عنوانا لشعرية نسوية قائمة على قدم وساق، وأخذت على عاتقها صياغة هذه الشعرية ذات الخاصية الجمالية، التي تضم في طياتها مجموعة من الأخيلة واللذات والمتع التي تفيض أنوثة مرهفة، تعبر من خلالها عن أوجاعها، وتصف أحوالها في قالب الكتابة النسوية ذات المضامين التي تثير قناعات تعتمد فيها على ذاتها المبدعة .

إنه لما كان الشعر فنا يترجم درجة النبوغ والإبداع في عالم الحداثة، الذي طبعه بطابع الجدة والتميز في الألفاظ والمعاني، على حد تعبر إبراهيم السامرائي في سياق حديثه عن الحداثة والشعر الحر إذ يقول: "ونأتي إلى الشعر فنراه جديدا في كثير من دلالات ألفاظه، مشيرا إلى معان جديدة ..."[27]، ومن ثم فإن المرأة الجزائرية واكبت هذا العصر في جدته، وأولت الشعر بطابعه الجديد عناية كبيرة، وأعطته النصيب الكافي في كتاباتها وإبداعاتها، لذا كان لزاما والحال كذلك، اختيار نماذج من هذا الشعر على سبيل الإضاءة والتحليل، وكشف بعض الجماليات التي تميزت بها المرأة الجزائرية، فكان اختيارنا للكاتبة الجزائرية المعاصرة زكية علال في ديوانها: "**رسائل تتحدى النار والحصار**".

يتكون الديوان من واحد وثلاثين رسالة، كل رسالة تختلف عن الأخرى اختلافا كبيرا، وكل رسالة تحمل بين طياتها شعرية توحي بمدى عمق الفكرة لدى المبدعة، وسنحاول تتبع بعض الرسائل للتوصل إلى ما نصبو إليه.

وهي تكتب عن جسدها فتقول في الرسالة السابعة المعنونة بـ" **دماء على ستائر جسدي**"[28]:

يدي اليمنى غدرت باليسرى وقطعتها.

عيني اليمنى ثارت ضد اليسرى.. وفقأتها.

نصفي الايمن طعن نصفي الأيسر وهو يرى أن فيه بعض الاختلاف عنه..

قلبي خان بقية أجهزة الجسم وقرر التوقف عن النبض ليفنى الجميع. بعض دمي يتقاتل مع بعضه في شوارع غزة..

وأنا هاهنا.. أقف على هذه الفوضى التي تحدث في جسدي..

على خارطة جسدي يتقاتل عمر وزيد فتلّون دماءهما ستائر قلبي.

الجسد والكتابة النسوية:

يصبح التماسك النصّي على مستوى عالٍ داخل السياق الجسدي عند المرأة التي تكتب بشروط الجسد، ومما لاشكّ فيه أن الكثافة الجمالية وحالات الاجتذاب الفني يمثّله الجسد الذي يبقى من المرتكزات الأساسية التي تستنير بها الرواية النسائية المعاصرة، ومنه يبدأ مستوى الوعي الإدراكي المشكّل لموقع الرؤية في الرواية النسائية، فالمرأة المبدعة يتحكم في إبداعها جسدها الذي تستعمله أداة فعالة في الكتابة، ومن هنا تعتبر مجموعة الدوال التي تكون النص النسائي امتدادات من الجسد إلى الذات، ومن الجسد إلى العالم الخارجي، فيتميّز بسحر الملاحقة عند المرأة المبدعة التي توظّفه كطاقة أكثر دلالة، وبالتالي فالكتابة بالجسد تكسب الذات النسوية هويتها مما يؤدي إلى خلق علاقة إبداعية بين المرأة والكتابة، لذا نجد المرأة تكتب من أجل تحقيق ذاتها وسط مجتمع ذكوري تحكم في زمام الكتابة منذ الأزل، وأصبح الجسد بذلك بنية تخيلية في الإبداع.

في هذه الرسالة؛ ومن عنوانها "**دماء على ستائر جسدي**" يتبين لنا جليا حرص المرأة على إدراج لغة الجسد في كتاباتها، كيف لا وهي تضعه عنوانا نلج به صلب الموضوع، وهي تعي جيدا قيمة الكتابة بهذا البعد، وبالولوج الى النص؛ نجد الكاتبة تستعمل بعض أعضاء الجسد في كاليد مثلا إيحاء منها بأنها تمتلك قوة تغنيها عن قوة الرجل، وقد كتبت عن اليمنى لأنها الأقوى دوما، ومثلت لها بأنها هي السبب في غدر يدها اليسرى؛ لأنها تمثل الحلقة الأضعف، ثم العين اليمنى دائما والشق الأيمن من جسدها كذلك، وهي دلالة على تحيق الذات والانتصار دوما في هذا المسار، ثم تذكر القلب مركز التصرف وإعطاء الأوامر لبقية أعضاء الجسم. لقد جعلت المرأة من الجسد قيمة ثقافية وجمالية، فبإمكانها أن تجعل الخطاب الإبداعي النسوي خطابا يختلف عن خطاب الآخر، "وذلك انطلاقاً من خصوصية بيولوجية وطبوغرافية هذا الجسد أولاً، ومما أقيم حوله من تيمات وعلاقات أسطورية وواقعية وإشكالية عديدة ... جعلت هذا الجسد المشبع بتصورات الموت والجمود محور النص الأكثر حياة وإثارة وقابلية للتحول، بصفة هذا الجسد قيمة جمالية تميز الأنثى تحديداً "[29]، ومن هنا جعلت المرأة من جسدها إشكالية نسوية حقيقية في كتاباتها، وهي تكتب دائما بلغة الجسد وما يحتوي عليه من أعضاء تكمل بعضها بعضا، تقول في الرسالة العاشرة؛ المعنونة بـ**"الوفاء"**[30]:

من مكرهم... كانوا يعرفون عني كل شيء.

كانوا يعرفون ان طبيعتي الجميلة تعشق الجمال..

وأن قلبي الذي تنتفض نبضاته غضبا قد يسترخي ويتهاوى نبضه أمام سحر الكلام.. ولهاذا أرسلوه إلي .. جعلوه يتسلل إلى خيمتي المغروسة في ارض الشتات... ظله سبق وقع خطواته إلى مضجعي..

كان شابا وسيما وشاعرا..

الكلمات العذبة تتراقص على شفتيه.. ويسكن السحر ضوء عينيه..

أفقت مذعورة..

فإذا به يقترب مني واضعا قلبه على راحة كفه وهو يهمس لي:

هذا قلبي أقدمه قربانا لعينيك الساحرتين.

حاولت أن أتدثر بغطاء يتمرد على جسدي وقلت له: ماذا تريد مني؟

قال لي وابتسامته الصفراء تتربص بغطائي الرمادي: كم أنت جميلة وفاتنة..

...

رد بمكر فاضح: من عشق سحر عينيك لا يَسأل كيف وصل إليهما.

سألته وماذا تريد؟

قال: احبك

قلت: ثم ماذا؟

انك أملي ومحجتي...انك شمسي التي تشرق في سماء قلبي المتعب.

وبخبث امتدت يداه ليكشف عن شعري!!

قال وأنفاسه تكاد تعانق أنفاسي:

أريد أن أتحسس شعرك الفحمي..

لن ادعهم يصلون إلى بوابة قلبي التي ظلت مقفلة منذ غادرتني وحملت معك نبضي.

كم كانوا أغبياء وهم يعتقدون أن الغزل مفتاح القلوب!!

وجهلوا أن ما أغلقه الوفاء تستعصي عليه كل الغزل المباح وغير المباح...

نلاحظ في هذه الرسالة كيف تكتب زكية علال بلغة الجسد الساحرة، وهي تقرب الصورة حتى يصبح المشهد حقيقيا يلامس الإحساس، فيرق القلب ويلين أمام الكلمات العذبة التي تتسلل إليه محاولة إغراقه في هذا الفيض، وتتراقص الكلمات على الشفتين مركز الإغراء والغواية، كل هذا تحت مراقبة العين الفاحصة التي تتأمل المشهد في اندهاش، ويستمر المشهد الذي غلبت عليه أعضاء الجسد الفاتنة، وتمتد الأيادي إلى الشعر الفحمي فتنقطع الأنفاس تعبيرا عن قوة المشهد الغزلي، ولكن تستفيق في آخر المطاف من غفوتها، وتغلق أبواب هذا القلب الذي يردها الموارد، وفي هذا ردٌ على كون هذا الجسد المميز متناقضا ومقدسا في الآن نفسه في الكتابة الذكورية " أي أنه في إطار هذا القالب المحاصر الذي وضعت فيه المرأة باعتبارها جسدا لا كائنا واهيا، فإن التمرد الأنثوي على واقع الجسد المحاصر شكل الهاجس الأساس ومركز التفجير ضد تابو الجنس الذي صنعه الرجل للسيطرة على هذا الجسد وابتذاله "[31]، ومن ثم فإنه من الصعب أن نقيم حدا فاصلا بين جسد المرأة ووعيها وخيالها تجاه ذاتها والآخر.

وتستمر الكاتبة في سرد الأحداث بلغة الجسد الذي يمدها بالقوة والثبات، فتقول في الرسالة الثالثة المعنونة بـ" **اعتذار**"[32].

وصلني احتجاجك هذا الصباح..

تقاسيم وجهك الغاضب حركت ستائر خيمتي..

صوت قلبك المفجوع دق على باب صدري.. أوجعني بنظرة عتاب

وصفعني بدمعة وألف سؤال:

أين أنت يا فاطمة؟

رسائلك-أيتها المسافرة في دمي- كانت عزاء لي..

لكن ..فجأة ..ما عادت تصلني رسائلك..

ما عدت أشم عطر جراحاتك.

فهل انتصرت عليك النار وغلبك الحصار؟

ام طلّقت وفاءك لي؟ أم انك اغتسلت من ملامحي ودمي؟

...

أنا ما نسيت أنك جرحي .. وجعي.. ألمي.

ما نسيت أنك زوج محنط في دمي..

نزيفي لك ما انقطع يوما..

ورسائلي لك ما توقفت لحظة..

في هذا المقطع تعتمد "زكية علال" الصّيغ الواضحة متعدّدة الدّلالة، يتقاطع فيها ما هو لغوي بما هو جسدي يزيد الكتابة سحرا وتميزا، حيث يتداخل فيها الواقع بالمتخيّل، أنها لغة ذات ذوق جديد للكلمة يختلط فيها الجسد باللّغة جسدا للمرأة وجسدا للّغة في حدّ ذاتها، هنا تنحرف اللغة عن مسارها الأصيل، المسار الفحولي المتسلط، إلى مسار الأنوثة والرضوخ، يقول الناقد: "أن تتأنّث اللّغة معناه خراب يصيب ذاكرة الرّجل"[33]، فهي تكتب على تقاسيم الوجه الذي تعرفه جيدا في مرحلة الغضب حين يصير قاطبا رمادي الملامح، وان هذه الصورة تثير في نفسها نوعا من الخوف الذي يحرك كيانها ويهزه هزا شديدا كما الخيمة حين تستسلم أمام الريح القوية، وكيف يصبح للقلب هذا الصوت المسموع الذي يدق ضلوع الصدر، وأن نظرة العين تصبح موجعة وكأنها سهم أصاب من بعيد، وأن للجراح عطر يعبق ياسمينه الأرجاء، لقد غدا الجسد أحد المداخل التي سلكتها المرأة للتميز، خاصة عندما تحوّلت إلى كاتبة تستطيع التعبير عن ذاتها بعيدا عن الدعامة الذكورية، وتحول الجسد إلى لغة التّرميز؛ رغم"اكتساب الجسد قيمة أساسيّة في المجتمعات المغاربيّة الذّكورية التّي تقصر دور المرأة على الجانب الفيزيولوجي مقصية بذلك إمكاناتها الفكريّة ونوازعها العاطفيّة..."[34]، عندها تتميز الكتابة بهذا النوع تميزا كبيرا عن كتابة الرجل الذي يكتب بحرقة عن وجع الحياة وماسيها.

لكن المرأة لا تكتب دوما بهذه اللغة التي تريد منها كسر الآخر، وجعله كائنا يتتبع خطواتها فيكل حين، وإنما هي كائن بشري له انكسارات كبقية الرجال في هذا العالم، فهي تكد

وتجد ولكن الظلم يلاحقها فلا تجد من ينصرها في قضيتها حتى بيت العدل، تقول الكاتبة في الرسالة الثانية وعنوانها: **وسقط العدل**[35].

ذهبت إلى بيت لعدل..

سرت إليه احمل رقم قضيتي،

ووقفت عند بابه:

وقفت بوجهي المشوه..

بجسدي الذي تغطيه خطوط السياط..

بخيبتي التي تنقلها شاشات العالم إلى كل البيوت..

بأطفالي المعلقين على صدري:

طفل تاهت ابتسامته..

وطفل أطعموه الخوف والرعب فارتعشت طفولته وهوت..

وطفل سرقوا البراءة من عينيه الجميلتين، وجعلوه يشيخ في عمر الزهور..

وطفل أرادوه جاهلا حتى لا يعرف وجه آمه..وطفل حاصروه بالنار حتى تفحمت أحلامه، وآخر حاصروه بالجوع حتى بات يقتات من لحم إخوته... وآخر... و ...

...

وكانت النتيجة: اختلطت الأوراق وضاعت نصف الملفات !!.

إن هذا النص جئنا إليه عن قصد واختيار، لمحاولة البحث عن بعض جماليات الكتابة النسوية المعاصرة، وآثرناه بشيء من الإضاءة لخصائص فنية بارزة فيه، وحسب النقد هنا أن يكون إبداعا ثانيا على حد تعبير مرتاض إذ يقول: "فبأي حق أم بأي حجة يتسلط النقد على النص الأدبي، ويُنَصبُ نفسه قاضيا عليه مع أنه هو ذاته مجرد مظهر آخر من مظاهر الإبداع الأدبي الخالص الأدبية، إذ لا يستطيع النقد الحق إلا أن يكون مكملا للإبداع، أي مجرد وجه

من وجوهه ..."[36]، إنه لمن العسير تناول نص شعري بالنقد المفصل الدقيق، ولكن حسبنا هنا وعلى سبيل الافتتاح فقط ، أن نثير السؤال من اجل التشكيك، وفتح باب النقاش، لأننا والحال هذه لم نَعد نجد فروقات شاسعة بين الشعر النسوي في قلته والرجالي في غزارته .

تنشأ فرضية الصعوبة على حد تعبير{دفيد بشبندر}: "عن مجموعة من الافتراضات أولا، أن لغة الشعر صعبة في ذاتها، وثانيا أن ثمة رسالة مختبئة في مكان ما من هذه اللغة الصعبة، ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة..."[37].

وتقول في الرسالة الخامسة، وعنوانها : **أنا.. ولعبة العيد"**[38]

عيدكك سعيد يا عبد الله..

عيدك سعيد أيها الألم الواقف على بوابة قلبي..

عيدكم سعيد أيها الحكام المارون على جسدي.. العابرون لخرائط وحدود نكبتي..

أيها العابثون بلون عيني، المخربون لخلايا السكينة في داخلي..

عيد سعيد إلى كل الذين منحوني وطنا من ورق.

عيد مضى كئيبا..

وعيد أتي متثاقلا..

وعيد سيأتي بعد نكبة..

تتعاقب الاعتياد على صفحات الكون.

...وأنا هنا..

أحلم برغيف معطر بابتسامة أمي ..

بظل زوج يرقع حزني.. أحلم بيوم لا ينبت فيه الرعب..

وصبح لا تورق فيه الحرب ..

ومساء لا يزهر فيه الحقد..

وعيد يجمعني أنا وأنت وطقطقة ذكريات حب تعثر.

وتقول في الرسالة السادسةالمعنونة بـ " **أنا .. والعيد... وزوجة الحاكم العربي.**"[39]

هل تصدق يا عبد الله ؟!!

أنا وزوجة الحاكم العربي سواء!!

كلانا تتجمل.. تتزين..

لتستقبل عيدا قد لا يشبه الذي مضى.. هي تتجمل لترى صورتها في عيون الوافدين على قصر الرئاسة..

وأنا أتجمل لأقيس نبضي في قلوب أحبتي المغادرين لتربتي الواحد تلو الآخر..هي .. تتزين بعرش يستقر بين يديها..

وأنا .. أتزين بأوتاد خيمة لا مستقر لها..

...

هي تجتهد أن تصير الأجمل..

أن تغير لون جلدها وسواد عينيها..

وأنا هنا ..

ابحث عن لوني بين الأنقاض..

ثم اجلس في خيمتي المتهاوية.. أخيط فستانا مطرزا بدموع بناتي..

وبطول يفوق هرم مآسينا

...

فينا أقرب إلى وجه العيد؟!!

أنا ... أم زوجة الحاكم العربي؟!!

يعد العنوان في خطاب الدراسات النقدية المعاصرة أحد المداخيل الأساسية والمشروعة لفك شفرات النص، والولوج إلى مناطقه المحرمة، والمتأمل في عنوان هذا الخطاب يجد نفسه منذ البدء أمام ازدواجية فيه، وهذا من باب الجدة في الطرح لدى المرأة الجزائرية المبدعة والشاعرة، في محاولة منها لتأسيس مذهب جديد، ومادة تضاف إلى الإبداعات النسوية في الشعر الحر ورحلته السريعة. إن المتأمل في العنوان الفرعي الثاني، يجد لغة الاستفهام والتعجب متواصلة، وكأن ما أخفاه نص العنوان المركزي، يبقى مستترا غير جلي، وإن الذي كان منتظرا إن يوضح أو يبوح بما أخفاه الجزء الأول لم يحدث، وبالتالي كسر أفق توقع القارئ، واستمرار تيمة الغموض التي تسربت وحاصرت الخطاب من خلال أداة الاستفهام "هل" والتعجب، اللتان تعبران عن عدم الفهم والانبهار من الفرق الشاسع بينها وبين زوجة الحاكم، ومحاولة التطلع للوصول إلى حقائق غامضة مبهمة .

إن الغموض والضبابية التي تطغى على العنوان، تجعلنا منذ البدء أمام نص عصي متمنع، يحسن لغة التهرب و الانفلات، إن القصيدة على حد تعبير ريفاتر بأنها تقول شيئا وتعني شيئا آخر، وبهذا يكون لها معنى يمثل الواقع، وآخر خفي يدرك من خلال القراءة وتنظيم العناصر داخل النص، وتحويلها إلى أنظمة دالة تشير إلى أشياء جديدة، والمتأمل في مضمون الرسالة يجدها تضطرب من حول الشخصية الرئيسية التي هي البطلة؛ أو قد تكون الشاعرة نفسها فهي المرأة التي تتعجب من حالها، والشخصية الثانية وهي زوجة الحاكم، فتسأل نفسها في تردد عن وجه المقارنة بين الحالتين وخاصة وقت التزين للعيد، وزوجة الحاكم تتزين لتكون الأجمل، والبطلة تبحث عن لونها بين الأنقاض، وتجلس في غيمتها المتهاوية تخيط فستانها المطرز بدموع الأولاد، أنها تنسحب من هذا المشهد الشاعري الحزين وتعجب ممن هي اقرب إلى العيد، هي أم زوجة الحاكم .

بحكم انتماء النص إلى الشعر الحر ، فإنه على الأقل ينزع إلى تمثل موضوع بلغة بسيط، تمثل رؤية معينة خاصة بالشاعرة ، و ينشأ عن ذلك أن هذه اللغة تقترب من الأدبية ، ذلك لأن النص هنا ينبني على الدورانية ، إذ يفضي بنا آخر بيت فيه - أنا ... أم زوجة الحاكم العربي؟!!- إلى نقطة البداية التي هي -أنا وزوجة الحاكم العربي سواء!!-، و كأن الشاعرة أرادت أن تبين أنها وزوجة الحاكم في مستوى واحد، رغم اختلاف الأشكال والألوان والزمان والمكان،

إلا أن وجه المقارنة يبقى قائما، وهي تضاهيها وتنافسها لتفوز عليها، وبذلك فالقصيدة باصطناع هذه التقنية تكون قد دخلت عالم الحداثة التي سبقها إليه الشعراء.

خاتمة:

وصفوة القول، وتأسيسا على ما تقدم فإننا نرى بأن الشاعرة استطاعت أن تشق طريقها الأدبي شقا عسيرا في عالم الكتابة النسوية، حيث كتبت بلغة خاصة بها تختلف اختلافا جذريا عن كتابة الرجل، حيث نجدها تتخير اللغة الشاعرية التي تفوح جمالا، وتنطق شعرية، فكل لفظة من النص الشعري توحي بدلالات خفية ، لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق النظر الدقيق والتحليل الصائب، غير أننا نجد الشاعرة قد أفلحت في آخر الأمر في سعيها، فهذه القصيدة تشهد لها بالانطلاقة نحو تأسيس شعرية وجمالية في الشعر النسوي الجزائري المعاصر، وتفتح آفاقا جديدة تتحدى بها الحصار المفروض عليها، و لعل الذي أمكنها من ذلك كون المحيط الجزائري تخطى النظرة السوداوية المحاطة بالمرأة من جهة، والتشجيع الدائم من قبل الأدباء والنقاد للمرأة على خوض غمار الإبداع من جهة ثانية، ويمكننا أن نستخلص النتائج الآتية:

- تعتبر كتابات زكية علال من الكتابات التي تنتمي إلى شق الكتابة النسوية بامتياز.
- تكتب الشاعرة بلغة تختلف كل الاختلاف عن الكتابة الذكورية.
- تنطق كتاباتها شعرية، لذا نجدها تنتقي كلمات تفوح جمالية في كل رسائلها.
- نجدها في بعض الأحيان تخرج عن نمطية الكتابة النسوية، وتكتب عن مآسيها كما الرجل.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] عبد الله الغذامي، الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب بيروت، ط1، 1991، ص 07.
[2] : المرجع نفسه، ص7.
[3] : المرجع نفسه، ص 8.
[4] - المرجع نفسه، ص8.
[5] - المرجع نفسه، ص8.

[6]- و حملن القلم، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني الثاني عشر للشعر النسوي، مطبعة الاهرام، ط1، 2010، ص53.

[7]: عبد الله الغذامي، الكتابة ضد الكتابة، ص 8.

[8]: و حملن القلم، ص53.

[9]: إبراهيم السامرائي، البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط1، 2002، ص14.

[10]- هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر و التوزيع،إربد، الأردن، ط1، 2004، ص 21.

[11]- علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي دراسات نقدية ، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الاردن، ط1، 198، ص 171.

[12]- تزيفطان تودوروف، الشعرية، تر شكري المخبوت ، رجاء سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 190، ص23.

[13]- رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر محمد الولي و مبارك منور، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1998، ص19.

[14]- كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت (د ط) 1987، ، ص 41.

[15]- كمال عيد، فلسفة الأدب و الفن، الدار العربية للكتاب، ليبيا ، تونس، ط1، 1978 ، ص 177 .

[16]- فتحي بوخالفة، شعرية القراءة و التأويل، عالم الكتب الحديث، اربد ، ط1، 2010، ص 370.

[17]- إتيان سوريو، الجمالية عبر العصور، ترجمة ميشال عاصي. منشورات عويدات ، لبنان ط2 ،1982 ،ص، 315.

[18]- ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية و النقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط2، 1981 ، ص20

[19]- علي شلق، الفن و الجمال، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، لبنان، ط 1، 1982، ص63

[20]- أميرة حلمي، فلسفة الجمال ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر، ط1،1998 ، ص231 .

[21]- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي ، دار الرضوان، عمان، ط 1، 2013، ص 17.

[22]- عبد الله الغذامي، الكتابة ضد الكتابة ، دار الآداب بيروت ، ط1، 1991، ص 07.

[23]- المرجع نفسه، ص7.

[24]: المرجع نفسه، ص 8.

[25]- عبد الله الغذامي، الكتابة ضد الكتابة، ص 8.

[26]- و حملن القلم، ص53.

[27]- إبراهيم السامرائي، البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1، 2002، ص14.

[28]- زكية علال، رسائل تتحدى النا ر..والحصار، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع،جيجل، ط1، 2014، ص 22.

[29]- إبراهيم السامرائي، البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر: ص128.

[30] - زكية علال، ، ص 31- 32.

[31]- إبراهيم السامرائي، البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر: ص128.

[32] - زكية علال، ، ص 13.

[33]- عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، ج2، ط1، 1998، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص200.

[34]- زهور كرم، قلادة قرنفل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ط1، 2004،ص16.

[35] - زكية علال، ص 10.

[36] - عبد المالك مرتاض، دراسة سميائية تفكيكية لقصيدة اين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر 1992،ص14.

[37] - دفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصرة و قراءة الشعر، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2005، ص 13.

[38] - زكية علال، ص 18.

[39] - زكية علال، ص 20.